التعليم أولا أم الفقر أولا

عبير صالح *

تحاول الدراسة الإجابة على التساؤل التالى هل يستطيع التعليم أن يكسب معركته مع الفقر إذا ما بدأنا به ، وذلك من خلال استعراض خطورة الفقر النمائى على الأطفال وعلى فرص تعليمهم فيما بعد، واستعراض العوائق التى تواجه الأطفال الفقراء فى التعليم، وقد اختارت الورقة مرحلة الطفولة، وهى المرحلة العمرية التى تمتد وفقا لتعريف الأمم المتحدة منذ الميلاد حتى ١٨عاما.

المقدمة

"التعليم أولاً" هى مبادرة لخمس سنوات أطلقها الأمين العام للأمم المتحدة بان كى مون، خلال انعقاد الدورة السابعة والستون للجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٦ سبتمبر ٢٠١٢. وتهدف هذه المبادرة للترويج على أعلى المستويات لتحقيق الأهداف التعليمية المتفق عليها دولياً بحلول عام ٢٠١٥، وإلى إعادة بلدان العالم إلى المسار الصحيح لتفى بالالتزامات التى تعهدت بها فى مجال التعليم، وكذلك منح جميع الأطفال فرصة الحصول على مستوى ملائم من التعليم السليم الذى يحقق التغيير. وقال الأمين العام إنه "عندما نضع التعليم أولاً، يمكننا الحد من الفقر والجوع ووقف هدر القدرات والإمكانات كى ينعم الجميع بمجتمعات أقوى وأفضل". وتتمحور مبادرة "التعليم أولاً" حول الأولويات الثلاث التالية [١] :

- ضمان التحاق جميع الأطفال بالمدارس.

* أستاذ مساعد، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

- تحسين جودة التعليم.
- تعزيز المواطنة العالمية.

ومع الإقرار بأن التعليم يساهم بشكل أساسى فى الحراك الاجتماعى وكسر دائرة الفقر، وذلك لما يتيحه من فرص تغيير وضعية الفرد المهنية وتحركه اجتماعيا واقتصاديا عن الوضع الاجتماعى والاقتصادى السابق لأسرته، إلا أنه لكى يكون التعليم محركًا للأفراد من موقع اجتماعى إلى موقع اجتماعى آخر، صعوداً وليس هبوطاً، لابد أن يُتاح لجميع الأطفال فرص متكافئة فى الحصول على تعليم ذى نوعية جيدة، هذه الفرص المتكافئة لا تشمل فقط تكافؤ الإمكانات التعليمية لجميع الأطفال، بل تشمل أيضا تكافؤ فرص النمو الجسدى والتطور العقلى. فملايين الأطفال الفقراء يلتحقون بالمدارس بعد أن تكون قدراتهم على التعلم قد تعرضت لأضرار لا سبيل إلى تداركها من جراء الفقر وما يتبعه من سوء التغذية. ومن هنا هل يستطيع التعليم أن يكسب معركته مع الفقر إذا ما بدأنا به أولا ؟ هذا هو تساؤل الدراسة:

التعليم أولا" أم الفقر أولا"؟

وسوف تحاول الدراسة الإجابة عليه من خلال استعراض خطورة الفقر النمائى على الأطفال وعلى فرص تعليمهم فيما بعد، واستعراض العوائق التى تواجه الأطفال الفقراء فى التعليم. وقد اختارت الورقة مرحلة الطفولة، وهى المرحلة العمرية التى تمتد وفقا لتعريف الأمم المتحدة منذ الميلاد حتى ١٨ عاما. وسوف تتبنى الدراسة أسلوب الوصف التحليلى فى منهجية الدراسة معتمدة على مصادر البيانات التالية:

مصادر البيانات

فى هذه الدراسة، تم استخدام النتائج النهائية لمسح الدخل والإنفاق والاستهلاك للعام٢٠١٠/٢٠١١، حيث تعتمد معظم تحليلات الفقر فى مصر على هذا المسح الذى يجريه الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء (جهة الإحصاء الرسمية).

بالإضافة إلى هذه البيانات تم استخدام بيانات آخر إصدار للمسح السكانى الصحى لمصر ٢٠٠٨ لقياس بعض المؤشرات التى لا يوفرها مسح الدخل والإنفاق والاستهلاك. أيضا تمت الاستعانة بالتقارير والدراسات المختلفة التى تصدرها منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف).

أولا: خطورة الفقر النمائى على الأطفال وعلى فرص تعليمهم

يعيش الأطفال الفقر بنوعين من الحرمان: المادى والنمائى. ووطأة الفقر النمائى هى الأشد والأخطر على الأطفال، وذلك لأن الفقر وما يتبعه من سوء تغذية خلال هذه المرحلة له تأثيرات ضارة على النمو الجسدى وعلى التطور العقلى، تبقى آثاره دائمة على الفرد لاحقا وغير قابلة للإصلاح.[٢] وفى هذا القسم من الدراسة سوف يتم عرض الأسباب التى تجعل من آثار الفقر آثاراً دائمة على الأطفال، ثم سوف يتم عرض هذه الآثار الدائمة، كالآتى:

الأسباب وراء الآثار الدائمة للفقر النمائى على الأطفال

يُسبب الفقر فى مرحلة الطفولة وسوء التغذية ضررا مدى الحياة لعقول وأجسام الأطفال، ويمكن تفهم الأسباب التى تجعل من آثار الفقر آثاراً دائمة من خلال نتائج العديد من الدراسات والأبحاث والتى تم التوصل لها وكانت على النحو التالى:

١- أكدت الغالبية العظمى من هذه الأبحاث أن قسمًا كبيرًا من النمو العقلى واللغوى للطفل ونمو ذكائه وتفكيره يتم خلال الثلاث سنوات الأولى من عمره، فنسبة ٨٠٪ من عقل الإنسان يتكون فى السنوات الخمس الأولى من حياته، وأن ١٠٪ تتكون حتى العام السادس، بينما تتكون الـ١٠٪ الباقية من خلال التجارب والمواقف والخبرات التى يمر بها الإنسان فى حياته. لذا تأتى خطورة الفقر فى المراحل المبكرة من العمر من أن فرص الطفل فى النمو لها مدى زمنى محدد، فالنمو البيولوجى والعقلى للطفل لا يمكن أن ينتظران حتى تتخلص أسرته من الفقر[٣].

٢- كما أثبتت الأبحاث العلمية المختلفة أن الأشهر التسعة التي يمضيها الجنين فى رحم أمه والشهور الأربعة والعشرين من الطفولة (فترة ١٠٠٠ يوم) تُشكل أهم الفترات الحساسة التى يمر بها الطفل. وتتسبب الآثار المدمرة التى يخلفها سوء التغذية فى هذه الفترة في إعاقة النمو الطبيعى والضعف العقلى للطفل؛ بحيث لن يستطيع الأطفال أن يستردوا عافيتهم من تعرضهم لسوء التغذية فى تلك السن، ولن ينموا ويتطوروا إلى كامل إمكانياتهم الجسدية والعقلية، فالفقر فى تلك السن يسبب ضررا مدى الحياة لعقول وأجسام الأطفال. وتأكيدا على أهمية أول ألف يوم فى حياة الطفل عُقد منتدى بعنوان "١٠٠٠ يوم: غيّر حياة غيّر المستقبل"، على هامش انعقاد مؤتمر قمة الأهداف الإنمائية للألفية فى سبتمبر ٢٠١٠. وقد ركز هذا المنتدى على إطلاق "حملة الـ ١٠٠٠ يوم" وهى حملة موجهة نحو رفع مستوى الوعى بالأهمية الحاسمة للتغذية الكافية خلال أول ألف يوم من حياة الطفل بداية من الحمل بالجنين وبلوغ الطفل عامه الثانى[٤].

٣- أوضحت نتائج العديد من الدراسات والتى تم التوصل لها فى علم وظائف المخ، والجهاز العصبى، أن معمار المخ يتكون من عنصرين أساسيين: خلايا عصبية ووصلات بين هذه الخلايا تمكنها من الاتصال ببعضها، وتتحدد كفاءة المخ بجودة هذه الوصلات وليس بعدد الخلايا. وفيما يتعلق بالمكون الأول، وهو الخلايا العصبية فيكتمل بناؤها تقريباً قبل الميلاد، ويبقى عدد خلايا المخ بعد ذلك ثابتاً عند حد الميلاد وطوال باقى العمر. غير أن الوضع مختلف فى حالة المكون الثانى، وهو الوصلات بين الخلايا؛ حيث يستمر النمو فى الوصلات بين خلايا المخ بعد الميلاد؛ بل حتى بلوغ الطفل الثانية من العمر. ثم يبدأ عدد الوصلات فى التناقص، وعند سن العاشرة يكون عدد الوصلات قد تقلص إلى حوالى النصف. ويلعب الفقر وما يتبعه من سوء تغذية فى سنوات الطفولة الأولى الدور الأساس فى تناقص معدل نمو الوصلات فى العامين الأولين من

العمر (فى الفترة التى من المفترض فيها أن تزيد)، وإلى الزيادة من معدل تقلص الوصلات بين الثانية والعاشرة (فى الفترة التى من المفترض فيها أن تقل) [٥] . محدثة ضررا غير قابل للتصويب حتى لو تم إمدادهم بالغذاء المناسب لاحقا.

٤- يضاف إلى أسباب دوام تأثير الفقر إذا أصاب الأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة، أن الاستثارة الضعيفة التى يتلقاها المخ فى سنوات الطفولة الأولى والتى قد تغيب فى ضوء سعى الأسر الفقيرة للوفاء بسد احتياجاتها الملحة، تؤدى إلى ضمور الخلايا العصبية، ومن المعروف أن الخلايا العصبية التى لا تستخدم أو التى لا تتاح لها الفرصة للنشاط والاستثارة تضمر، شأنها شأن أى خلايا حية أخرى ينطبق عليها قانون الاستخدام وعدم الاستخدام، والخلايا العصبية التى تموت لا يمكن تجديدها[٦].

تأثير الفقر على فرص تعليم الأطفال فى المستقبل

من المُثبت علميا[٧] أن النمو الطبيعى للمخ فى الفترة ما بين الولادة وأول سنتين هو الأساس للتحصيل الدراسى فى المستقبل والتعلم مدى الحياة، وأن النقص فى مستوى التغذية فى هذه الفترة يمكن أن يلحق أضرارا مباشرة بالمخ تعيق نمو القدرات المعرفية وتقف عائقا فى طريق التعليم. ويتم تقييم الحالة التغذوية للأطفال باستخدام مؤشرات الحالة التغذوية، وتناول العناصر الغذائية الدقيقة، وتتضمن مؤشرات الحالة التغذوية، مؤشرات الحالة التغذوية الثلاثة، المؤشرات القياسية التالية للنمو[٨]:

- مؤشر الطول بالنسبة للعمر (التقزم) أو سوء تغذية مزمن: أطفال دون الخامسة الذين كان طولهم بالنسبة لعمرهم تحت ثلاث وحدات، انحراف معيارى من وسيط المجتمع المرجعى الدولى لنمو الطفل.
- مؤشر الوزن بالنسبة للطول (الهزال) أو سوء التغذية لفترة قصيرة: أطفال دون الخامسة الذين كان وزنهم بالنسبة لعمرهم تحت ثلاث وحدات، انحراف معيارى من وسيط المجتمع المرجعى الدولى لنمو الطفل.
- مؤشر الحرمان من التغذية: أطفال دون الخامسة الذين كان وزنهم وطولهم بالنسبة

لعمرهم تحت ثلاث وحدات، انحراف معيارى من وسيط المجتمع المرجعى الدولى لنمو الطفل. وهو يعد من أهم مؤشرات سوء التغذية.

أما ما يتعلق بالعناصر الغذائية الدقيقة فهى اليود والحديد وفيتامين أ. ويطلق على الحرمان من هذه العناصر بـ "الجوع الخفى".

والجدول التالى يوضح العلاقة بين الأشكال المختلفة للفقر وما يتبعه من سوء تغذية وفرص تعليم الأطفال فى المستقبل(٩).

جدول (١)

العلاقة بين الأشكال المختلفة لسوء التغذية وتعليم الأطفال

أشكال سوء التغذية	الأعراض المرضية	التأثير على تعليم الأطفال
نقص البروتين والطاقة	التقزم و الهزال	ضعف المهارات الحركية، والمرض المتكرر (وبالتالى الغياب عن المدرسة)، قلة المجهود الذهنى وعدم القدرة على التركيز والانتباه، وانخفاض فى التحصيل المدرسى.
نقص فيتامين أ	ضعف الرؤية	ضعف النظر والحالة الصحية ومن ثم التغيب عن المدرسة ومن ثم ضعف التحصيل العلمى.
أنيميا (نقص الحديد)	أطفال حديثى الولادة ناقصى الوزن	إحساس الأطفال بالتعب، إنهاك، والأرق، وعدم القدرة على التركيز والانتباه والمرض المتكرر، التأثير على درجة الذكاء والاستجابة للمؤثرات الخارجية، وضعف القدرة التعليمية لاحقا.
نقص اليود	الغدة الدرقية	ضعف النمو، ضعف تطور المخ، تلعثم، التخلف العقلى، صعوبات التعلم.

ويمكن الاستنتاج من هذا الجدول أن تأثير الفقر وما يتبعه من سوء تغذية فى مرحلة الطفولة يتعدى الحالة الجسمانية ليمتد أثرة على فرص التعليم فيما بعد، وأن الأطفال الفقراء يلتحقون بالمدارس بعد أن تكون قدراتهم على التعلم قد تعرضت لأضرار من جراء سوء التغذية قد لا يمكن معالجتها.

الحالة التغذوية للطفل فى مصر

للتعرف على التفاوت فى مؤشرات الحالة التغذوية، وتناول العناصر الغذائية الدقيقة بين الأطفال فى مصر وفقا للمستوى المعيشى، تم استخدام بيانات المسح السكانى الصحى لمصر ٢٠٠٨. والجدير بالذكر أن قياس المستوى المعيشى فى هذا المسح يتم من خلال مؤشر الثروة؛ حيث يتم تصنيف الأسر إلى خمسة مستويات معيشية، تتراوح بين الطبقة الفقيرة (أدنى مستوى) والطبقة الغنية (أعلى مستوى).

ويعرض الجدول (٢) الحالة التغذوية للأطفال حسب مستوى المعيشة بناء على نتائج المسح السكانى الصحى مصر ٢٠٠٨.

جدول (٢)

نسبة الأطفال دون الخامسة من العمر والذين تم تصنيفهم

كناقصى تغذية حسب مؤشر الثروة

مؤشر الثروة	الطول بالنسبة للعمر التقزم	الوزن بالنسبة للطول الهزال	الوزن بالنسبة للعمر نقص وزن
الطبقة الفقيرة	٣٠	٣,٨	٧,٥
الطبقة الغنية	٢٧	٢,٨	٥,٤

المصدر: المسح السكانى الصحى – مصر ٢٠٠٨: الزناتى وآخرون ٢٠٠٩، جدول١٤-٢

ويتضح من الجدول التفاوت فى مؤشرات سوء التغذية للطفل حسب المستوى المعيشى؛ حيث إن ٣٠٪ من الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة الفقيرة يعانون من التقزم مقارنة بـ ٢٧٪ من الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة الغنية. وفيما يتعلق بمؤشر الوزن بالنسبة للطول، نجد أن حوالى ٤٪ من الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة الفقيرة مصابون بالهزال مقارنة بـ ٣٪ من الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة الغنية. وأخيرا فإن حوالى ٥٪ من الأطفال أقل من ٥ سنوات لديهم نقص فى الوزن مقارنة بعمرهم، ويزداد نقص الوزن بالنسبة للعمر مع تدنى مستوى المعيشى للأسرة.

أى أن نسبة الأطفال التى تعانى من سوء التغذية، وما يؤدى إليه من عدم الحصول على الطاقة اللازمة للدراسة وممارسة الأنشطة أعلى فى الأسر ذات المستوى المعيشى المنخفض.

كما يعانى الطفل الفقير فى مصر من نقص التغذية فى المغذيات الدقيقة، ويوضح جدول (٣) أن وجود الأطعمة الغنية بفيتامين أ، والأطعمة الغنية بالحديد، والملح اليودى يزيد بزيادة ثراء الأسرة المعيشية، وبالتالى تزيد معه فرص الطفل فى تناول كميات كافية من المغذيات الدقيقة.

جدول (٣)

تناول العناصر الغذائية بين الأطفال الصغار حسب مؤشر الثروة

مؤشر الثروة	نسبة الأطفال فى عمر ٦-٣٦ شهرا التى تعيش فى أسر معيشية تستخدم أطعمة غنية بفيتامين أ	نسبة الأطفال فى عمر ٦-٣٦ شهرا التى تعيش فى أسر معيشية تستخدم أطعمة غنية بالحديد	نسبة الأطفال فى عمر ٦-٥٩ شهرا التى تعيش فى أسر معيشية تستخدم كمية كافية من ملح اليود
الطبقة الفقيرة	٣١	٦٤	٥٦
الطبقة الغنية	٤٠	٧٩	٩٠

المصدر: المسح السكانى الصحى – مصر ٢٠٠٨:الزناتى وآخرون ٢٠٠٩، جداول١٣-٨

ثانيا: العوائق التى تواجه الأطفال الفقراء فى التعليم

فى هذا القسم من الدراسة سوف يتم عرض العوائق التى تواجه الأطفال الفقراء فى التعليم؛ حيث تتعدد هذه العوائق ومنها ما يتعلق بتأثير الفقر النمائى على الأطفال والذى تم توضيحه سابقا، أما الأسباب الأخرى فيمكن توضيحها فيما يلى:

تعدد أنواع التعليم

يتوزع الطلاب فى مصر بين أربعة أنواع من التعليم تستقبل التلميذ منذ مرحلة رياض الأطفال حتى الجامعة. وهذه الأنواع الأربعة هى:

التعليم الحكومى: أو التعليم الرسمى وينقسم إلى تعليم حكومى عام وتعليم حكومى بمصروفات (تجريبى).

التعليم الأزهرى: وهو تعليم مستقل تماما عن التعليم الحكومى وله مناهجه وإدارته وتمويله الخاص.

التعليم الخاص: يتنوع التعليم الخاص فى مصر ما بين تعليم خاص يتم باللغة العربية، وتعليم خاص يتم بلغة أجنبية أو بأكثر من لغة أجنبية.

التعليم الأجنبى: ويشمل مدارس تتبع القنصليات أو السفارات المختلفة فى مصر وهى مدارس غير خاضعة للحكومة المصرية، وتعتمد مناهج أجنبية من البلد الذى تحمل اسمه وتصريحه.

هذا التنوع فى التعليم – حتى داخل التعليم الحكومى بين حكومى عام وحكومى بمصروفات– أنشأ نظامين للتعليم فى مصر، نظام التعليم الحكومى ونظام التعليم الخاص. فمن يستطيع دفع مقابل وسائط تعليمية متطورة ومبان مجهزة ومدرسين تربويين يتقاضون أجورًا كافية سوف يحصل على مستوى تعليمى جيد، أما من لا يملك دفع مقابل كل ما سبق سوف يظل يدرس من قبل مدرسين لا يتقاضون أجورًا كافية فى فصول دراسية مكتظة وسيئة التجهيز، وبالتالى تكون النتيجة أنه يحصل على مستوى تعليمى ردئ. وتظهر الفجوة بين المستويين عند الوصول إلى مرحلة الالتحاق بسوق العمل بعد التخرج؛ حيث تكون الأفضلية للحاصل على التعليم الخاص.

التفاوت بين التعليم فى المدارس الرسمية والمدارس الخاصة

أوضحت نتائج استطلاع لرأى عينة من الخبراء حول بعض قضايا التعليم[١٠] أن معظم الخبراء فى العينة يتفقون على وجود تفاوت واضح بين المدارس الرسمية والمدارس الخاصة، لا سيما الخاصة لغات، لصالح الأخيرة. فقد ذهب ٨٩,٤٪ (٥٩

فردا) أن ثمة تفاوتا واضحا بين المدارس الرسمية والمدارس الخاصة لصالح الأخيرة. وقد أكد على هذا الأمر مديرو المدارس فى العينة وكذلك أساتذة الجامعات والمعاهد التربوية (٢٥ فردا)، وأعضاء المراكز البحثية التربوية (١٩ فردا). ويظهر التفاوت بوضوح بين المدارس الرسمية والخاصة من خلال عدة نقاط سوف نركز منها على ما يلى:

- **أعداد المدارس المعتمدة:** فوفقا للبيانات التى تنشرها وزارة التربية والتعليم على الموقع الخاص بالوزارة[١١]، فقد بلغ إجمالى عدد المدارس فى مصر ٤٦,٧٢٧ مدرسة بجميع المراحل منها ٤٠,٨٠٩ مدرسة حكومية و٥,٩١٨ مدرسة خاصة تقدم خدمة تعليمية لنحو ١٧ مليون طالب وطالبة وذلك فى عام ٢٠١١-٢٠١٢. وتوضح إحصاءات "الجودة والاعتماد" أنه خلال الفترة من العام الدراسى ٢٠٠٨/٢٠٠٩ وحتى الآن تقدم٢٧٧٠ مدرسة حكومية بطلب اعتماد، نجح منها ١٢٠٩ بنسبة ٢,٩٦٪ من إجمالى المدارس الحكومية، بينما تبلغ النسبة ٤٣,٦٪ من المدارس الحكومية التى تقدمت للاعتماد. فيما تقدمت ٢٧٦ مدرسة خاصة للهيئة نجح منها ٢٣٨ بنسبة ٤,٠٢٪ من إجمالى المدارس الخاصة بينما تبلغ النسبة ٨٦,٢٪ من المدارس الخاصة التى تقدمت للاعتماد.
- **الكثافة الطلابية بالمدارس والفترات المتعددة:** تعد المبانى التعليمية أحد مدخلات العملية التعليمية التى تؤثر على جودة مخرجات تلك العملية، ومن المشاكل التى تواجه المبانى التعليمية فى مصر الكثافات العالية فى المدارس والفصول والفترات الدراسية المتعددة. ويوضح جدول(٤) التفاوت فى كثافة الفصول بين التعليم الحكومى، والخاص حسب المرحلة التعليمية.

جدول (٤)

كثافة الفصول فى التعليم الحكومى والخاص حسب المرحلة التعليمية

المرحلة	٢٠١٢/٢٠١١	
	حكومى	خاص
ما قبل ابتدائى	٣٦	٣٠
الابتدائى	٤٤	٣٢
الإعدادى	٤١	٣٠
الثانوى	٣٩	٢٩

المصدر: وزارة المالية والجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، مصر فى أرقام ٢٠١٢

- تصل كثافة الفصل فى الـ١٥١ قرية الأشد فقرا فى مصر من ٥٠–٨٠ طالباً[١٢]. ونظرا لعدم توافر عدد مناسب من المدارس فى القرى، فإن غالبية المدارس تعمل بنظام الفترتين (الفترة الأولى ٨–١٢، والفترة الثانية ١٢–٤) وفى ظل العمل بنظام الفترتين فإن مدة الحصة تصل لنحو ثلاثين دقيقة وهى ليست كافية لتعليم الطلاب.

فيما يتعلق بالمبانى الدراسية التى تعمل بنظام تعدد الفترات نجد أن[١٣]: ٤,٢ آلاف مبنى يعمل بذلك النظام على مستوى الجمهورية بنسبة ١٦,٧٪.

عدم الاستيعاب الكافى للأطفال فى مرحلة رياض الأطفال

رغم الاتفاق على أهمية التعليم فى مرحلة الطفولة المبكرة، إلا أن فصول رياض الأطفال فى مصر التى تخدم المرحلة قبل الابتدائية من سن ٤ إلى ٥ سنوات وصل فى عام ٢٠١٢/٢٠١١ إلى (٢٥٧٢٣) فصلا منها (١٨٣٦١) فصلا حكوميا، و(٧٣٦٢) فصلا خاصا، وهذا العدد لا يغطى سوى ٢٤٪ من إجمالى عدد الأطفال فى هذه المرحلة . وهى نسبة ضعيفة خاصة أن مصر تستهدف الوصول إلى نسبة ٦٠٪ بحلول عام ٢٠١٥.

نسبة القيد الصافى والإجمالى للعام الدراسى ٢٠١٢/٢٠١١ (رياض الأطفال)

تلاميذ المرحلة	تلاميذ السن الرسمى	السكان	القيد الصافى	القيد الإجمالى
٨٧٤٧٣٠	٧٧١٢٦٨	٣٦٠٢١٦٢	٢١,٤	٢٤,٣

المصدر: وزارة المالية والجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء، مصر فى أرقام ٢٠١٢

وجود مناطق محرومة من التعليم الأساسى

يبلغ إجمالى عدد المناطق المحرومة من التعليم الأساسى ١٠,٣ آلاف منطقة محرومة؛ حيث تمثل ٢٤,٧٪ من إجمالى القرى والتوابع فى مصر.

فيما يتعلق بتوزيع تلك المناطق نجد أن ٧,٧ ألف منطقة محرومة تقع فى المناطق التى يتراوح عدد السكان بها بين ٦٠ إلى ٢٤٠ نسمة، و١,٨ ألف منطقة محرومة تقع فى المناطق التى يتراوح عدد سكانها ٢٤٠ إلى ٥٠٠ نسمة، و٧٤٨ منطقة محرومة تقع فى المناطق التى يتعدى عدد سكانها ٥٠٠ نسمة. وقد تم تقدير عدد الفصول المطلوبة لتوصيل الخدمة التعليمية للمناطق المحرومة حتى عام ٢٠١٧، وبلغ ذلك العدد ٤١,٢ ألف فصل بتمويل ٩,١ مليار جنيه. كما يقدر عدد الفصول المطلوبة لمواجهة الزيادة السكانية حتى نهاية عام ٢٠١٧ نحو ٣١,٢ ألف فصل بتكلفة إجمالية ٦,٩ مليارات جنيه[١٤].

التوزيع غير العادل للمعونات الدولية للتعليم الابتدائى

التوزيع غير العادل للمعونات الدولية التى وجهت لمصر، والتى كانت بهدف تحقيق التعليم الابتدائى الشامل (أحد أهداف الألفية)[١٥]. ففى عام ٢٠٠٤ بلغت نسبة هذه المعونات ٤١,٢ مليون دولار بما يمثل ٥,٦٪ من إجمالى المعونات الخارجية، ولكن لم يتم التوزيع الجغرافى للمعونات بصورة عادلة وفقًا لنسب الأمية داخل المحافظات. فمحافظة سوهاج، وبنى سويف بهما أعلى معدلات للأمية، وفيها أقل معدلات للقيد فى التعليم، وهى من المحافظات الأكثر فقراً، وقد بلغ نصيب الفرد الأمى ٢ دولار، و

١,٦ دولار على التوالى. وفى الوقت نفسه، بلغ نصيب الفرد الأمى بمحافظة القاهرة ٢,٩ دولار من المعونات المخصصة لهذا الهدف على الرغم من زيادة نسبة القيد فى التعليم الابتدائى على ٩٠٪.

تحيز الإنفاق العام على التعليم لصالح التعليم الجامعى

يتضح من خلال البيانات الخاصة بالإنفاق العام للدولة على التعليم طبقا للموازنة[١٦] العامة للدولة ٢٠١١/٢٠١٠ ما يلى:

- إجمالى إنفاق الدولة على التعليم (بدون التعليم الأزهرى) فى مصر قد بلغ ٥٣,٩ مليار جنيه.
- ٤٠,٣ مليار نصيب التعليم قبل الجامعى من إجمالى الإنفاق العام على التعليم، و١٣,٥ مليار نصيب التعليم الجامعى.
- ٧٥٪ نسبة الإنفاق العام على التعليم قبل الجامعى من إجمالى الإنفاق العام على التعليم .
- ٢٥٪ نسبة الإنفاق العام على التعليم الجامعى من إجمالى الإنفاق العام على التعليم .
- نصيب التعليم قبل الجامعى من جملة الطلبة المقيدين فى التعليم عام ٢٠١١/٢٠١٠ يصل إلى حوالى ٨٨٪، فى حين بلغ نصيب هذه المرحلة التعليمية من جملة الإنفاق العام على التعليم ذاته نحو ٧٥٪ فقط. وعلى الجانب الآخر، فإن التعليم الجامعى يستحوذ على حوالى٢٥٪ من جملة الإنفاق العام على التعليم فى حين لا يبلغ نصيبه من جملة الطلبة المقيدين سوى ١٢٪ فقط.

جدول (٥)

توزيع الطلبة المقيدين والإنفاق العام على التعليم ٢٠١١/٢٠١٠

	التعليم قبل الجامعى	التعليم الجامعى
عدد الطلاب (بالمليون)	١٧.٩٦٨	٢.٤٧١
الإنفاق العام (بالمليون)	٤٠,٣	١٣,٥
٪ من جملة الطلاب	٨٧.٩	١٢.١
٪ من جملة الإنفاق العام	٧٥	٢٥

المصدر: وزارة المالية والجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، مصر فى أرقام ٢٠١٢

ويتضح من خلال الجدول (٥) أن هناك تحيز واضح فى الإنفاق العام على التعليم فى مصر لصالح التعليم الجامعى، وهو التعليم الذى لا يستفيد منه الفقراء استفادة كبيرة على عكس التعليم الأساسى؛ حيث إنه من المعروف أن احتمال استمرار الطالب حتى مرحلة التعليم الجامعى يكون أقل للفئات الأفقر من المجتمع، وهو ما تؤكده نتائج مسح الدخل والإنفاق والاستهلاك عام ٢٠١٠/٢٠١١ التى يتضح منها أن:

- الغالبية العظمى من الفقراء لم تحصل سوى على تعليم ابتدائى على الأكثر.
- أكثر من ثلث الفقراء (٣٦٪) أميون مقابل (٢٢٪) من غير الفقراء.
- ٢٪ فقط من الفقراء حاصلون على التعليم الجامعى فأكثر بينما تزيد تلك النسبة إلى ١٢٪ من غير الفقراء.

ارتفاع تكلفة التعليم

يشكل تدبير الأموال اللازمة للدروس الخصوصية ومجموعات التقوية والكتب الخارجية– والتى زاد الاعتماد عليهما نتيجة الخلل الذى تعانى منه العملية التعليمية– عقبة كبيرة على الأسر الفقيرة التى بالكاد تستطيع تدبير مصاريف المدرسة. ونتيجة لارتفاع نفقات التعليم وزيادة أعباء الأسر الفقيرة مع ارتفاع تكلفة المعيشة، يصبح

على الأبناء بدورهم أن يشاركوا فى تحمل أعباء الأسرة؛ ويكون أول إجراء تتخذه الأسرة التضحية بتعليم الأبناء وإخراجهم للعمل. ووفقا لنتائج مسح النشء والشباب[١٧] تبين أن:

- يرتبط بقاء الطلاب فى التعليم بحسب مؤشر الثروة، فنجد أن الفارق بين الشريحتين الأكثر فقرا والأكثر ثراءً فى معدلات الالتحاق بالمدرسة حوالى ١٦,٦٪، تستكمل نسبة أكبر بحوالى ٣٦,٧٪ من طلاب الشريحة الأكثر ثراء التعليم الإعدادى، ويواصل أكثر من ٤١,٧٪ حتى التعليم الثانوى، ويلتحق نسبة أكبر بلغت ٦٧.١٪ بالتعليم الجامعى.
- ٣٦,٢٪ من الشباب من ذوى الشرائح الفقيرة يرون أن التكاليف هى السبب وراء عدم الالتحاق بالتعليم مقارنة بنحو ٧,٢٪ من الشباب من ذوى الشرائح الأغنى.
- الدروس الخصوصية أحد أهم التحديات التى تواجه الأسر المصرية والتى تزيد من تكلفة التعليم بطريقة غير مباشرة.

كما أوضح استطلاع رأى حول إنفاق أولياء الأمور على المستويات المختلفة من التعليم[١٨] أن:

- نحو ٥٥٪ من الطلاب بالعينة يحصلون على دروس خصوصية فقط، كما أن ١١٪ يحصلون على مجموعات تقوية فقط، و٩٪ يحصلون على الاثنين معا، بينما أفاد ٢٥٪ من الطلاب أنهم لا يحصلون على أى منهما.
- ٧٠٪ من الطلاب فى المرحلة الابتدائية يحصلون على دروس خصوصية أو مجموعات تقوية أو الاثنين معا. وتصل هذه النسبة إلى ٨٥٪ لدى طلاب المرحلة الإعدادية، وفى الثانوية العامة تصل النسبة إلى ٧٧٪.

جدول (٦)

نسبة الطلاب الحاصلين على دروس خصوصية
أو مجموعات تقوية أو الاثنين معا وفقا للمرحلة

المراحل	النسبة(٪)
الابتدائية	٧٠
الإعدادية	٨٥
الثانوية	٧٧

المصدر: استطلاع رأى حول إنفاق أولياء الأمور
على المستويات المختلفة من التعليم
مارس ٢٠١١.

-٧٨٪ من الطلاب فى المدارس الحكومية يحصلون على دروس خصوصية أو مجموعات تقوية أو الاثنين معا، وتصل هذه النسبة إلى٦١٪ فى المدرس الخاصة.

جدول (٧)
نسبة الطلاب الحاصلين على دروس خصوصية
أو مجموعات تقوية أو الاثنين معا وفقا لنوع المدرسة

المراحل	النسبة(٪)
حكومى	٧٨
خاص	٦١

المصدر: استطلاع رأى حول إنفاق أولياء الأمور
على المستويات المختلفة من التعليم
مارس ٢٠١١.

ارتباط البطالة بالتعليم

بطالة الشباب هى السمة الغالبة على شكل البطالة فى مصر، فوفقا لإحصائيات سوق العمل من خلال بحث القوى العاملة[١٩] لعام ٢٠١٠ تتركز البطالة بين الشباب

من الذكور والإناث؛ حيث توجد أعلى نسبة من المتعطلين فى الفئة العمرية من ٢٠ إلى ٢٤ سنة بنسبة ٤٦,٩٪ من إجمالى المتعطلين، يليها الفئة العمرية من ٢٥ إلى ٢٩ سنة بنسبة ٢٤,٤٪، ثم الفئة العمرية من ١٥ إلى ١٩ سنة بنسبة ١٢,٢٪. يضاف إلى ذلك أن البطالة فى مصر بطالة متعلمة فأعلى نسبة من البطالة بين الخريجين من حملة المؤهلات التعليمية المتوسطة بنسبة ٤٨,٣٪ من إجمالى المتعطلين يليها الحاصلين على مؤهلات جامعية وما فوقها بنسبة ٣٥,٥٪ من إجمالى المتعطلين. وهو ما يعنى أن التعليم لم يعد مصدرا لتحسين الأحوال المعيشية للأسرة، أو إحدى أدوات الحراك الاجتماعي، بل أصبح يمثل عبئا ماديا ومعنويا متزايدا على الأسر المحتاجة. وبالتالى أصبح حرمان الأطفال من التعليم له ما يبرره من جانب الأسر الفقيرة فى ضوء الاحتياجات الملحة للأسرة المعيشية، وانعدام أو قلة فرص الحصول على العمل لذوى التعليم المتوسط والمهنى.

الانخفاض السنوى فى أعداد المقبولين فى الجامعات الحكومية

يمثل قطاع التعليم العالى فى مصر[٢٠] نحو ١٩ جامعة حكومية، بالإضافة إلى جامعة الأزهر، و٤٥ كلية تكنولوجية، و٣ معهد متوسط.

كما يضم التعليم الخاص نحو ١٨ جامعة خاصة، بالإضافة إلى الجامعة الأمريكية،٣ أكاديميات، بالإضافة إلى١٢٢معهدا عاليا خاصا، و١٠ معاهد متوسطة خاصة، و٥ معاهد متنوعة خاصة وذلك فى عام ٢٠١٢/٢٠١١.

جدول (٨)

تطور أعداد المقيدين وفقا لمؤسسات التعليم العالى خلال الفترة

(٢٠٠٧/٢٠٠٦- ٢٠١٢/٢٠١١)

(بالألف)

مؤسسات التعليم العالى	٢٠٠٦/ ٢٠٠٧	٢٠٠٧/ ٢٠٠٨	٢٠٠٨/ ٢٠٠٩	٢٠٠٩/ ٢٠١٠	٢٠١٠/ ٢٠١١	٢٠١١/ ٢٠١٢
الجامعات الحكومية	١٤١٦	١٤٥٥	١٤٣١	١٤٠٣	١١٢٠	١٠٧٧
الجامعات الخاصة	٢٤	٣٠	٥١	٦٤	٦٢	٧٦

المصدر: الإحصاء السنوى للتعليم العالى، مركز المعلومات والتوثيق، وزارة التعليم العالى.

يوضح جدول (٨) الانخفاض السنوى فى أعداد المقبولين فى الجامعات الحكومية فى مقابل التوسع فى التعليم الجامعى الخاص بأقسامه الخاصة والمميزة داخل الجامعات وفى كل كلية؛ حيث تكون المصاريف عادة مرتفعة بحيث تناسب الطلاب القادرين فقط. ومن ثم، فأبناء الفقراء رغم دخولهم الجامعات الحكومية لن يستطيعوا منافسة خريجى الأقسام المتميزة فى سوق العمل؛ حيث تكون الأفضلية للحاصل على التعليم الخاص مع حرمان الحاصلين على تعليم مجانى من فرص العمل التى هى الهدف الأساسى من التعليم والتدرج عبر مراحله المختلفة.

الخلاصة

طرحت الدراسة هذا التساؤل: هل نضع "التعليم أولاً" أم "الفقر أولاً" فى سلم أولويات المشاكل التى يجب أن نواجهها خاصة فى مرحلة الطفولة؟. وللإجابة على هذا التساؤل عرضت الدراسة الآثار الضارة للفقر، وما يتبعه من سوء تغذية على النمو الجسدى وعلى التطور العقلى للطفل، وأوضحت أن هذه الآثار دائمة على الفرد وغير قابلة للإصلاح. كما بينت الأسباب التى تجعل من آثار الفقر آثارًا دائمة، وعرضت هذه الآثار.

عرضت الدراسة أيضا أسباب ضعف فرص الأطفال الفقراء فى التعليم. من هذه الأسباب ما يتعلق بالأطفال أنفسهم ، حيث إن ملايين الأطفال الفقراء يلتحقون بالمدارس بعد أن تكون قدراتهم على التعليم قد تعرضت لأضرار لا سبيل إلى تداركها من جراء سوء التغذية (الفقر النمائى)، أما الأسباب الأخرى فتتعلق بتحيز منظومة التعليم نفسها ضد الفقراء من حيث كفاية الإنفاق العام على التعليم، وعدالة هذا الإنفاق، وأخيرا جودة التعليم.

فى النهاية، إذا كان يتعين اختيار بديل واحد التعليم أم الفقر، فالإجابة كما يراها الباحث هى الفقر وذلك لأنه مع الفقر لا يوجد لدى الطفل فرصة بعكس التعليم ، والأسباب وراء ذلك ما يلى:

- فرص الطفل فى النمو لها مدى زمنى محدد، بعدها لا يوجد لدى الطفل فرصة أخرى للنمو.
- النمو البيولوجى والعقلى للطفل لا يمكن أن ينتظر حتى تتخلص أسرته المعيشية من الفقر.
- الفقر فى مرحلة الطفولة المبكرة وبالتالى سوء التغذية يسبب ضررا مدى الحياة لعقول وأجسام الأطفال غير قابلة للتصويب حتى لو تم إمدادهم بالغذاء المناسب لاحقا.

المراجع

١- -online at www.unesco.org/new/ar/education/education-first/

٢- ليلى كرم الدين، أهم التجارب والنماذج الدولية الناجحة فى مجال رعاية وتربية الأطفال بمرحلة الطفولة المبكرة١٩٩٩.

-online at www.gulfkids.com/ar/book21-1110.htm.

٣- المرجع السابق.

٤- مركز أنباء الأمم المتحدة – "بان كى مون يؤكد أهمية التغذية فى سن مبكرة"

-online at www.un.org/arabic/news/story.asp?NewsID

٥- لطيفة حسين الكندرى، نظرة على مؤتمر التربية المبكرة للطفل العربى فى عالم متغير، المؤتمر الخامس لوزراء التربية والتعليم العربى، الذى أقامته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) بالتعاون مع جمهورية مصر العربية يومى (١٠-١١) سبتمبر ٢٠٠٦ ،القاهرة ، ٢٠٠٧، ص ص ٢٧-٣٠.

-http://www.emoe.org/Ministry/inside.aspx?sub1=arabmoe5&sub2=papers

٦- ليلى كرم الدين، مرجع سابق، ١٩٩٩،ص٤.

٧- -Reader . FAO, 2005, Nutrition Education in Primary Schools, Vol. 1: The Preparatory Unit 2, Malnutrition and its Causes.

٨- منظمة الأمم المتحدة للطفولة، المسح السكانى الصحى فى مصر ٢٠٠٨، صندوق الأمم المتحدة للسكان، ٢٠١٠.

٩- -FAO, Nutrtion Education in Primary Schools, Vol. 1: The Reader Preparatory Unit 2, Malnutrition and its Causes, , 2005.

١٠- ناهد رمزى وآخرون، العدالة الاجتماعية فى التعليم الأساسى (المجلد الأول)، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠٢، ص ص ١٤٦-١٤٧.

١١- -www.naqaae.eg/services/naqaae-acc-inst.htm1 .

١٢- وحدة البحوث والمتابعة والحوكمة، مركز العقد الاجتماعى، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، ما بين الفقر والأحوال المعيشية الهشة، نتائج المسح لقرى المرحلة الأولى،٢٠١٠، ص ٢٦.

١٣- مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، واقع التعليم فى مصر... حقائق وآراء، مارس٢٠١٣، ص٨.

١٤- المرجع السابق ، ص٨.

١٥- تقرير التنمية البشرية لمصر ٢٠٠٨، ص ٤٣.

١٦- - Online at: http:services.moe.gov.eg/books/011012/4teacherStaff.pdf

١٧- كرافت، كارولينن، التحديات التى تواجه نظام التعليم المصرى: الوصول إلى التعليم، وجودة التعليم، وعدم المساواة، مسح النشء والشباب فى مصر، القاهرة، مركز المعلومات ودعم واتخاذ القرار، مجلس الوزراء، ٢٠١٢.

١٨- مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، استطلاع رأى حول إنفاق أولياء الأمور على المستويات المختلفة من التعليم، القاهرة، مارس٢٠١١.

١٩- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء: ملخص نتائج بحث القوى العاملة لعام ٢٠١٠.

٢٠- الإحصاء السنوى للتعليم العالى، مركز المعلومات والتوثيق، وزارة التعليم العالى.

Abstract

EDUCATION FIRST OR POVERTY FIRST

Abeer Saleh

The study tries to answer the following question: can education win its batlle with poverty if we start with it?. We try answer through reviewing the danger of developmental poverty on children and the chances of their education hereafter we also review the obstacles that face poor children in education. The paper chose childhood which extends, according to the definition of The United Nations, from birth till 18 years old.